نقش المناقيش : أدواته وتقنياته الإبداعية عند الحرفي يوسف شويشين أنموذجاَ

أ. إيمان عثمان علي أوحيدة
جامعة طرابلس، كلية الفنون والإعلام

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بأهمية وعراقة الصناعات التقليدية في ليبيا، وذلك من خلال دراسة إحدى هذه الحرف، وهو فن (نقش المناقيش المستخدمة في فن النقش على النحاس) التي لم تنل حظاً من الدراسة والبحث، فتبلورت هذه الدراسة من خلال البحث الميداني والمنهج الوصفي باستخدام أداة الدراسة المتمثِّلة في المقابلة الشخصية مع إحدى الحرفيين المهرة في سوق القزدارة بمدينة طرابلس، العرفي (يوسف شويشيين) للتعرُّف من خلاله على تاريخ هذه الحرفة التي ورثها أبًا عن جد، والغوص في أسرارها وأدواتها وموادها وطرق صناعتها، وكذلك التَّعرف عن قرب على المشاكل والصعوبات التي تواجه الحرفيين وتشكِّل ناقوس الخطر المهدِّد باندثارها، علَّنا نصل بهذه الدراسات إلى يد المسئول عن حفظ التراث؛ لحمايتها وحفظها من الحرب الممنهجة لطمس هويتنا الليبية في ظل غياب الجهات الرقابية المسئولة على حفظ التراث، وقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من التوصيات منها: ضرورة تكاثف الجميع لحفظ تراثنا من التغريب والاستلاب والتهجين.

الكلمات المفتاحية : النقش، المناقيش، التقنيات، الأدوات، الحرفي.

Summary:

This study aims to identify the importance and antiquity of traditional industries in Libya, through studying one of these crafts, which is the art of (engraving the Manaqish used in the art of engraving on copper), which has not received much study and research. This study crystallized through field research and the descriptive approach using the study tool represented by a personal interview with one of the skilled craftsmen in the Qazdara market in the city of Tripoli (Youssef Shuwaishin) to learn through it about the history of this craft that he inherited from his father and grandfather and to delve into its secrets, tools, materials and methods

of manufacturing, as well as to learn closely about the problems and difficulties facing craftsmen and constitute an alarm bell threatening its extinction, so that we may reach through these studies the hand of the person responsible for preserving the heritage to protect it and preserve it from the systematic war to obliterate our Libyan identity in the absence of the supervisory authorities responsible for preserving the heritage. This study concluded with a set of recommendations, including the necessity for everyone to unite to preserve our heritage from alienation, alienation and hybridization.

المقدمـة:

يُعد فن النقش على النحاس من الحرف اليدوية العريقة، التي اشتهرت بها مدينة طرابلس إذ تمتد جدورها إلى العهد العثماني الأول(1551– 1711)[1]، بوصفه فنًا عريقًا يعبِّر عن هوية المدينة وسكَّانها، ومن خلال تلك الرسوم المنقوشة على الأواني النحاسية بزخارف هندسية وحيوانية ونباتية تحكي صورًا ورموزًا لتاريخ أهلها المجيد، وكما جاء في كتابات المرحوم علي قانه:(الحرفة تستدعي بالضرورة امتدادها في ما مضى من عمر الإنسانية حضورًا فاعلًا ومحركًا ليومها، ومتطلِّعًا مشاركًا في مستقبلها)[2]، وما أنْ تدخل إلى (سوق المشير) بطرابلس، وتصل إلى برج الساعة حتى تتعالى إلى مسامعك تلك الطرقات المتواثرة فيُخيَّلُ إليك موسيقى الاوركسترا، وسط جلبة من الأصوات المتعالية حتى تدرك أنَّك وصلت (سوق القزدارة)، ففي هذا المكان تتم صناعة نوع خاص من الفن بأدوات ومعاول اختزلت تاريخ هذه الحرفة؛ لتحفظه وتحميه من الاندثار، فنرى اليوم في هذا المكان ينتشر عدد ليس بالكثير من الحرفيين الذين رفضوا ترك هذه الحرفة، مستبسلين في الدفاع عن وجودها على الرغم من أنَّها لم تعُد تؤمِّن لهم قوت يومهم، وذلك نتيجة للتذبذب الاقتصادي الذي شهدته البلاد خلال العشر سنوات الماضية، فيرى الحرفيون أنَّ هذه الحرفة في طريقها للزوال إذا لم يتم الاهتمام بها، ودعمها من قبل الدولة، فالمدينة القديمة بدأت تفقد بريقها حيث أنَ الكثير من المحلات أغلقت أبوابها، ومئات الحرفيين تركوها؛ نتيجةً لتغوُّل المنتج الأجنبي في السوق بديلًا عن منتجاتهم، والذي أدَّى إلى استلاب وتهجين هويتنا الليبية، فالأواني النحاسية لا تعكس قيمة جمالية فقط، وإنَّما ترمز لتاريخ وأحداث مختلفة نقشت بأدوات ومطارق صمَّمها الحرفي بمهارة وفن قبل أنْ ينقش أوانيه النحاسية، وهذه الأدوات لا يمكن وصفها بالبدائية أو الاستغناء عنها لأنَّها الأساس والركيزة التي تعتمد عليها هذه الحرفة وتتمثَّل في

(المناقيش) بتعدُّد أشكالها وأحجامها، فطَّور الحرفي من مناقيشه عبر كل تلك المراحل التاريخية مُخصِّصَا لفنه كل وقته وجهده، دون كلل ولا ملل، فنقش (منقاش الظفر والجنزير، والغُبارة وعين الطير)؛ ليصوِّر لنا مشاهد تصويرية بديعة على أوانيه النحاسية التي زيَّنت صدر كل بيت بمدننا العريقة، وما شَدَّ انتباه الباحثة هو عدم تطرُّق الدراسات السابقة إلى البحث في الكيفية التي تنقش بها المناقيش ...؟ وبهذا خصَّصت دراستها للبحث في هذا الإرث الثقافي مع إحدى الحرفيين البواسل، الذي أفنى زهرة شبابه في هذا العمل الشريف والمتميز، وذلك لغيرته الشديدة على هذا الموروث الثقافي، وخوفه عليه من الاندثار، علَّها تصل بهذه الدراسة إلى يد المسئول لحمايته من مخاطر التهجين والاستلاب والتَّغريب.

مشكلة الدراسة:

لقد تزايد في الآونة الأخيرة اهتمام المجتمعات الدولية برعاية وحفظ التراث المادي واللامادي، وذلك بتنظيم ورش عمل ومؤتمرات علمية لدعم وحفظ هذا الإرث الثقافي والإنساني، إلا أنَّه ونتيجة للصراعات السياسية على السلطة خلال العشر سنوات الماضية ما أدَّى إلى غياب الجهات الرقابية والإدارية المسئولة عن حفظ ورعاية الحرف اليدوية، ونتيجة لطمع بعض التجار غير الوطنيين الذين قاموا باستيراد المنتج الأجنبي وبيعه بأبخس الأسعار في السوق؛ ممَّا أدَّى إلى تغوُّله وتكدُّس المنتج الوطني وعدم الإقبال عليه، وكان ذلك نتيجة لغلاء المواد الخام، وبالتالي غلاء سعره، فأدَّى ذلك إلى عزوف الحرفيين عن الإنتاج، وبالتالي خطر اندثار الحرفة، وهنا يجب الإشارة إلى أنَّ عدد حرفيي النقش على النحاس اليوم لا يتجاوز عدد أصابع الكف الواحدة، وهذا ما دعا الباحثة إلى ضرورة تسليط عدستها البحثية على المشاكل التي تواجه إحدى هذه الحرف، وهي فن النقش على النحاس نتيجة لتفشِّي المنتج الأجنبي المقلَّد، والذي نتج عنه أنماط إنشائية هجينة منها: ما جاء مسخًا لأصالتنا وهويتنا الليبية، وذلك لعدم إلمام التاجر بما يميِّز المنتج المحلي من نقوش وزخارف تحاكي تاريخ هذه الأمة، ولم تقتصر المشكلة عند هذا الحد، بل تجاوزتها إلى مشاكل أخرى أكثر تعقيدًا، فمن حرفة النقش على النحاس تولَّدت حرفة أخرى، وهي فن نقش المناقيش، هذه الحرفة لم ترى النور من قبل؛ لعدم دراية المسئول عن أهميتها، وبالتالي خطورة اندثارها، ومن كل المشاكل سالفة الذكر تسعى الباحثة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

أ- ما المشاكل التي أدَّت إلى تراجع وعزوف الحرفيين عن ممارسة هذه الحرفة؟

ب- هل المنتج الأجنبي المصنَّع الجاهز يهدد استمرارية مزاولة حرفة نقش المناقيش؟

ت- ما الأدوات والخامات المستخدمة في صناعة المناقيش؟

ث- هل يوجد العدد الكافي من الحرفيين لتغطية متطلَّبات السوق؟

ج- هل من سبيل لحفظ هذه الحرفة.

أهداف الدراسة:

ترى الباحثة أنَّ أهمية هذه الدراسة تبرز من أهمية الحفاظ على الموروث الشعبي، الذي يتطلَّب منا جميعًا أفراد وجماعات بضرورة البحث والتقصِّي وراء الأسباب التي تواجه الحرفيين، وتعترض سير عملهم، إذ ليس من الممكن أنْ نترك تجَّار الأزمات يعبثون بمقدَّرات وتاريخ وحضارة هذا الأمة، ونحن نقف مكتوفي الأيدي، كذلك تسليط الضوء على إحدى الحرف التي لم تحظ بالاهتمام والدراسة من قِبل البُحاث والدارسين من قبل، وهي حرفة (نقش المناقيش) وذلك من خلال إبراز الأهمية التاريخية لها، والغور في سبرها، فتبلورت فكرة هذا البحث من خلال التعرُّف على إحدى الحرفيين المهرة في سوق القزدارة، وهو العرفي (يوسف شويشين) ليعرِّفنا من خلال مسيرته الحرفية على (الخامات والأدوات وطرق مزاولتها والمحافظة عليها، وعليه تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

1. التعرُّف من خلال المقابلة الشخصية والميدانية على الصعوبات التي تواجه الحرفي وتعترض سير عمله.
2. التعرُّف على فن النقش على النحاس، ومن ثَم التعرُّف على الأدوات والخامات وأهمية الحرفة، وكيفية تعليمها للأجيال القادمة.
3. التعرُّف على المناقيش وأنواعها وكيفية النقش بها.
4. تقديم التوصيات من خلال نتائج الدراسة لتذليل المشاكل والصعوبات التي تواجه الحرفي لحفظ هذه الحرفة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية البحث في إطار الأهمية المتزايدة بقطاع الصناعات التقليدية الذي تشهده دول العالم، وذلك من خلال دراسة المشاكل والصعوبات التي تواجهها الحرف اليدوية لتطويرها والدفع بها إلى الأمام، وعليه تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

1. التَّعريف بحرفة نقش المناقيش، والتي لم تنل حظًا وافرًا من البحث والدراسة.

2. تكمن أهمية الدراسة في تشخيص الوضع الحالي لحرفة النقش على النحاس، وحصر الصعوبات والمشاكل التي تواجه الحرفيين علَّنا نصل بها إلى يد المسئول لتدليل هذه المشاكل لضمان استمرارية مزاولة هذه الحرفة.
3. إبراز الدور التاريخي لعراقة فن النقش على النحاس، وأهمية أدواته الفنية، والمساهمة في تشجيع الجيل القادم على مزاولتها بإقامة ورش عمل دائمة، وحثهم على الانخراط في تعلُّم هذه الحرفة لحفظها من الاندثار.

فروض الدراسة:

تفترض الباحثة الآتي:

1- غياب الدور الرقابي من الدولة لمتابعة المشاكل والصعوبات التي تواجه الحرفيين.

2- عدم الوعي الكامل من قبل المسئولين بتفاقم مشكلة نقص المواد الخام وغلاء أسعارها، كذلك غلاء سعر إيجار المحلات وتبعياتها على الحرف اليدوية.

3- عزوف الحرفيين عن الحرفة؛ لعدم توفُّر المواد الخام المدعومة.

4- توفر المنتج الأجنبي وبخس ثمنه أدَّى إلى عدم الإقبال على شراء المنتج المحلي، و وبالتالي تكدُّس البضاعة ممَّا أدَّى إلى تكاسل الحرفي عن التصنيع، وبالتالي عدم تصنيع أدواته.

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي والميداني، باستخدام أدوات الدراسة المتمثِّلة في المقابلة الشخصية والملاحظة.

مصطلحات البحث:

1- النقش: نقش مصدر نقَشَ، ومعنى نقش في معجم المعاني الجامع (فعل) وهو ما يحفِّر أو يرسم على حجر أو مبانٍ أو أخشاب أو معادن من صور وزخرفة وألوان وغيرها، النقَّاش: صيغة مبالغة من نقش: كثير الحفر والنحت على الأسطح، ومناقيش: اسم آلة من نقش: أداة معدنية تستخدم في النحت والزخرفة [3].

الإطار النظري والتحليلي:

يتأتى ذلك من خلال البحث الوصفي والتحليلي من خلال المقابلة الشخصية للبحث في إحدى الحرف اليدوية المهدَّدة بالاندثار، وهي حرفة نقش المناقيش التي امتهنها قلَّةٌ من الحرفيين المهرة في سوق القزدارة عبر التاريخ، فتوارثوها أبًا عن جد، وحفظوها من التحريف والتغريب ليصيغوا من خلالها رموزًا ونقوشًا تزين أوانيهم النحاسية بطابع هويتنا الليبية.

نبذة عن الحرفي يوسف علي شويشين:

في مطلع القرن الماضي وفي أحد أحياء مدينة طرابلس نشأت وترعرعت عائلة الحاج (محمد شويشين) الذي وافاه الأجل مخلفً ابنيه (علي، الطاهر) فتربَّا من بعده في كنف إخوته (عمومتهم) الحاج (بشير، إبراهيم، مختار) الذين كانوا من الحرفيين المهرة في فن النقش على الذهب و الفضة فتتلمذ (علي) وهو أكبر أبناء عمومته علي يد عمه (العرفي بشير) مُنتهلاً من منهلِه فن النقش على الذهب والفضة، فتشرَّب الحرفة؛ لتصبح مصدر رزق له ولعائلته (الصورة رقم1)، وهنا استشهد بمثل شعبي يقول (الي علَّمك حرفه وكَّلك)[4]، ثم تخصَّص في فن النقش على النحاس فتفَرَّس وتمرَّس وأصبح من الحرفيين المهرة في صنعته، وعند بلوغه سن الزواج تزوَّج من عائلة ابنه عمه (بشير) ومن تلاقُح أبناء العمومة ولد (يوسف شويشين) سنة (1968م) فنشأ وسط عائلة حرفية بامتياز؛ ليتشرَّب حرفته من عمومته وأخواله متأثرًا بعالمه المحيط في إحدى أحياء المدينة القديمة بطرابلس، وتحديدًا شارع الأربع عرصات، وبما أنَّه أكبر الأحفاد، فقد حضي باهتمام الجد (بشير) الذي كان من الحرفيين المهرة في فن النقش على الفضة والنحاس؛ ليستقر به الحال في صناعة السروج، فكان يشجِّعهم على مساعدته عند صناعته للسروج في البيت طالبًا منه هو وأبناء اخواله تلميع مسامير الفضة التي تزين حواف السرج، فكانت تلك البدايات المشجِّعة من العائلة، وعندما اشتد عوده ورغم نعومة أظافره التحق بوالده في سوق القزدارة عام (80-81) وهو ابن الثانية عشر، فتتلمذ على يد أبيه (العرفي علي) وتعلَّم فن النقش على النحاس، وهنا ابتسم العرفي يوسف قائلًا: "كان حياة بوي لما بيخدم سفرة نحاس كبيرة يصل قطرها للمتر أحيانًا يطلب مني نعاونه في شد السفرة في الهواء، وهذه العملية تستغرق حتى ساعة و تبي تركيز، ففي مرة من المرات سرحت وجت ضربة التكماك في المكان الخطأ، وفسدت السفرة فكانت الخبطة الثانية على صوابعي قصدًا من والدي قائلاً "هذه قرصة وذن بش تركز ومعش تعاودها مرة ثانية؛ لأنَّه فسدت

السفرة وتوه بنعاود نطرحها من جديد" وهذا التكماك لازلت احتفظ به إلى اليوم كتذكار من والدي – رحمه الله– (كما في صورة رقم2) واستمر في تعلُّمه حتى العام (83) فاحترف الحرفة متخذًا من مناقيش والده مِعولًا يضرب به تلك الأواني دون كللٍ ولا مللٍ، فأبدع وأتقن وتفنَّن في صناعة الأواني النحاسية والدروع والصُفر النحاسية (صورة المناقيش رقم3)، واشتد طلب السوق على مشغولاتهم النحاسية من قِبل مؤسسات الدولة والأفراد، وكذلك السياح الأجانب الذين كانوا يتكالبون على اقتناء مشغولاتهم النحاسية المزدانة بزخارف جمالية بديعة، التي لعبت دورًا مهمًا في رواج مشغولاتهم النحاسية، ممَّا زاد من حماسة (العرفي بشير) لتختمِرَّ في رأسه فكرة تطوير الدروع من الشكل الدائري المألوف إلى الشكل الثماني، كما في الصورة رقم (4 –5 –6 –7)، فصمَّم ونفَّذ الدرع الثماني برسومات زخرفية، تجمع بين الزخارف الهندسية والنباتية متأثرًا كغيره من حرفيي النسيج والفضة بتلك الدالات الرمزية للشكل الثماني، وهو ما يذهب إليه البعض إلى أنَّ النجمة تعد أساسًا لمجموعات النجوم المتعدِّدة الأضلاع ومضاعفتها مثل الاثني عشر والأربعة عشر والخمسينية والمئوية التي أبدع في نقشها وزخرفتها الحرفيون مثل الصالحة و الطراحة و الدندوش والخلال والخاتم وغيرها [5]، وعند تنفيذهم لتصميم جديد كان لزامًا على العرفي علي وابنه يوسف من إشباع رغبتهم الفنية في فن النقش بتصميم مناقيش جديدة بنقوش تتماشى والتصميم الحديث، وبهذا تولَّدت حرفة من ظهر حرفة، أي من النقش على النحاس إلى نقش المناقيش، فيقول يوسف(كنت ووالدي عند نقشنا على الصفرة تراودنا فكرة نقشه فنرسِمُها في مخيَّلتنا، ومن ثم ندوِّنها بدفتر الملاحظات بجانبنا؛ لكي لا تتبخَّر الفكرة ونُكمل شُغلنا، وعند عودتنا ووالدي للبيت ننتهز وقت الفراغ "ونِسفوا كمامنا ونسخنوا الحديد لصنع المنقاش الجديدة وهذا يأخذ من يوم ليومين في حالة مشت الأمور تمام)، وبذلك تولَّدت من تحت أياديهم الذهبية مناقيش ذات مسميات وأحجام كثيرة نُقِشت بها أواني ودروع تحكي صورًا وقصصًا من روائع الماضي إلى يومنا هذا، ومن العام (1997) وحتى يومنا هذا نقش العرفي يوسف مناقيش لم يشاطره فيها أحد، بل هي نتاج إبداعه وحِرفيته عبر السنوات، وفي سنة (2000) توفى والده (العرفي علي) فلم يُضعِف ذلك من عزمه بل استمر على نهج أبيه وجده حاملًا معه حرفته بكل أدواتها وأخلاقياتها ومنافعها متحملًا السخام وشدة النار، فتتلمذ على يديه الكثير من أبناء وطنه ليتقلَّد لقب (العرفي يوسف) مُكمِلًا مسيرته الحرفية بالبحث عن الجديد والتطوير مُراعيًا قواعد وشروط ذلك الإرث الثقافي لأجداده، وممَّن سبقوه منهم، فصمَّم (الفلايك الشراعية) كما في الصورة رقم (8 – 9) المزدانة بنقوش اختُزلت في

ذاكرته ممَّن كان لهم الفضل في إبداعه وتفرُّده وصاغها بيديه بحداثة وفن، فكان العرفي (يوسف) خيرُ خلف لخير سلِف، راجعًا ذلك لحسِه الفطري الصادق، فحمل التُراث بأمانة وصدق وكابد الحاضر بكفاءة ومهنية عالية، جعلت من أعمالهِ إحدى العلامات في تراثنا الحرفي الشعبي، حتى يومنا هذا كما في الصورة رقم (10 -11- 12).

صورة (1) الحاج (علي شويشين). صورة (2) التكماك. صورة (3) مناقيش الحاج (علي شويشين).

صورة (4-5-6 بعض من اعمال الحاج المرحوم (علي شويشين).

صورة (7) الدرع الثماني للحاج المرحوم (علي شويشين).

صورة (8-9) الفلايك الشراعية من أعمال العرفي (يوسف شويشين).

صورة (10 -11- 12).

صورة (13 –14) ويظهر فيها العرفي (يوسف شويشين) وهو ينقش أحد روائعه الفنية.

الخامات المستخدمة في صناعة المناقيش:

تعتمد صناعة المناقيش على مادة الحديد الصلب (الفولاذ) ذو الجودة والنقاوة العالية، وقد جاء على لسان العرفي يوسف (كانت الدولة الليبية والمتمثِّلة في النقابة تدعم الحرفين بتوفير الخامات الأساسية لكل الحرف، وبالنسبة لهم كانت توفر النحاس الخام النقي ذا الجودة العالية المصنَّع من فرنسا وإيطاليا، وكان لذلك دور كبير في تشجيع ودعم الحرفيين حيث كانت الأسعار مناسبة، وفي متناول الجميع، أمَّا عن الحديد الخاص بصناعة المناقيش فيقوم الحرفي بشرائه من المحلات الخاصة بمعدَّات الورش وتسمَّى(بمنقار الحديد) وهي أدوات تستخدم أساسًا لحفر وثقب الجدران كما في الصورة رقم(14)، وبعد سنوات الأحداث (2011) ونتيجة للتذبذب الاقتصادي الذي شهدته البلاد، والذي أدَّى إلى زيادة الأسعار وانقطاع الدعم عن المواد الأساسية المتمثِّل في النحاس جانبه ارتفاع (منقار الحديد) فأثقل ذلك كاهل الحرفي، وكان عليه إيجاد البديل لذلك، وبما عاهدناه من اجتهاد وفن من العرفي (يوسف) فما كان منه إلا التفكير في شراء (خُردة) السيارات، والمتمثِّل في طرف (المزاطوريات– الفلافل) وإعادة تدويرها كما في الصورة رقم (15)، وذلك لأنَّها مصنوعة من الحديد الصلب والنقي لتوفير ما يمكن توفيره، ولضمان الحفاظ على سعر مناسب لمشغولاتهم النحاسية تُرضي زبائنهم وتُسهم في دوران عجلة الإنتاج.

صورة رقم (14) الترابونوات. صورة رقم (15) المزاطوري، الفلافل.

الأدوات المستخدمة لصناعة المنقاش:

1. المبارد بجميع أنواعها وأحجامها.
2. الصاروخ الكهربائي للقص.
3. الغاز (ويستخدم مسدس النار).
4. الماء والزيت (للسقيه).
5. الرصاص (البيامبو).
6. أدوات الحفر الكهربائية (الترابوني بأحجامه المختلفة).
7. شريحة النحاس وتستخدم للتأكد من نجاح عملية النقش النهائية كعينة.
8. مناقير من الحديد.
9. السندان (الُزبرة) وقد ذكرت تسميتها في القران الكريم، قال تعالى﴿ءآتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾[6].
10- المطارق متعدِّدة الأحجام.

كيفية صنع المناقش:

تتم عملية صنع المناقيش ونقشها عبر مراحل سيتم توثيقها بالشرح والتطبيق العملي بالصور على يد (العرفي يوسف شويشين) الذي كان له الفضل في إثراء هذه الدراسة، وهنا يذكرنا العرفي يوسف بما ذكره سابقًا، عندما تحدث عن الخامات في حالة شراء (منقار الحديد الجاهز) فهذا يوفِّر الوقت والجهد إذ أنَّ (المنقار) جاهز للنقش، أمَّا في حالة استخدام الحديد الخردة (المزاطوري- الفلافل) فهذا يتطلَّب مراحل عديدة تحتاج إلى ورشة فنية متكاملة مع الأخذ بالاعتبار احتياطات السلامة المهنية المتمثِّلة في ارتداء سترة السلامة والقفازات والإضاءة والتهوية الجيدة للورشة واستخدام الأدوات بحذر وعناية قائلًا (يالله) ليبارك شغله ورزقه:

المرحلة الأولى: تحمى قطعة الخردة (الحديد) على النار حتى تصبح جمرة حمراء، ثم توضع على السندان ونبدأ بضربها بالمطرقة، وبالطرق والسحب المتكرِّر نستمر في حميها تارة، وطرقها وسحبُها تارة أخرى، إلى أنْ (تتسقم) آي تستقيم القطعة ونهذِّب الحواف بالمبرد والطرق أيضاً حتى تصبح قطعة مستقيمة، ثم نتركها لتبرد، وهذا يأخذ وقتًا وجهدًا كبيرين، كما في الصورة رقم (16 -17) .

المرحلة الثانية: نأخذ قطعة الحديد بعد أنْ أصبحت مستقيمةً ونقصها بالمنشار الكهربائي إلى قطع صغيرة تبدأ أطوالها من (10-12-15) وأنسبهم العشرة لأنَّه يتلاءم وقبضة اليد عند النقش، ويمكن أنْ نتحصَّل على ثمانية إلى عشرة أصابع من طرف الحديد، كما في الصورة رقم (18 - 19)، وهنا يقول العرفي يوسف: "لكن مرات لازم انزيد في الطول شوية لأنَّ عند استخدامنا للمناقيش الأساسية في النقش يبدأ المنقاش يذوب من كثرة الضرب من جهة المطرقة؛ لأنَّ الحديد يأكل الحديد كما في الصورة رقم (20)، وهنا يحضرني مثل شعبي يقول "لا يفل الحديد إلا الحديد".

المرحلة الثالثة: نأخذ كل قطعة على حدة وتُحمى على النار إلى أنْ تُصبح جمرة حمراء، ثم نقوم بعملية تهذيبها بالطرق والبرد من جميع الجهات، إلى أنْ تصبح ناعمةً وهنا تسمَّى القطعة (منقار الحديد) جاهز للنقش عليه، كما في الصورة رقم (21 -22- 23).

المرحلة الرابعة: نحمي قطعة الحديد (المنقار) بالتدريج من إحدى أطرافه إلى أنْ يُحمى كاملًا فيصبح جمرة حمراء، ثم نبدأ في تخفيض حرارته بالتدريج، وذلك بتخفيض النار تدريجيًا، ثم نضعه بجانب الموقد، ثم نُبعِدُه قليلًا من الموقد ونضعه في مكان دافئ إلى أنْ يُصبح رطبًا، وهنا نبدأ في برد أطرافه بالمبرد اليدوي والكهربائي تارة أخرى، وأخيرًا نقوم بتنعيمه بالمبرد الناعم وصنفرتِه حتى يُصبح الطرف المراد النقش عليه كسطح المرآة، وللتأكد من نعومه سطحه نقوم بضربه بمطرقة وزن (500جرام) ضربة واحدة فقط على طرف البيامبو (قطعة من الرصاص الرطب يشبه العجينة) كما في الصورة رقم (24)، أو نضربه بحذر على قطعة من النحاس لأنَّه لا يزال رطبًا فقد يتعرَّض المنقاش في هذه المرحلة للكسر فيفسد وينشطر على اثنين، وإنْ تمت العملية بنجاح يُصبح المنقار جاهزًا للنقش كما في الصورة (25- 26) .

المرحلة الخامسة: نحمي (منقار الحديد) على النار بالتدريج حتى يصبح جمرة حمراء، ثم نُبعِدُه قليلًا من على النار ليبرد تدريجيًا، ويصبح رطبًا عندها نبدأ في نقش التصميم المطلوب بمناقيش الحديد، آي من منقاش نصنع منقاشًا، وعملية النقش تتم بضربة واحدة بمطرقة وزنها(500 جم) وذلك لضمان نظافة النقش، فتظهر المنحوتة واضحة، وهذه الضربة لا يتقنها إلا من لزِمَّ هذه الحرفة سنوات عديدة، فيقول العرفي يوسف: "لها وزنة بالإحساس والخبرة ضربه إمعّلم) وعند الانتهاء من عملية النقش نضرب المنقاش على البيامبو أو طرف النحاس بحذر؛ لأنَّه لا يزالُ رطبًا للتأكد من جمالية التصميم المطلوب، عندها نقوم بحمي المنقاش بالتدريج نصفه الأول، ثم النصف الآخر، ثم نرجع للنصف الأول ونُعيد حميه كاملًا ثم نسقيه، و السقية تكون على ثلاث مرات (زيت ماء، ثم زيت ماء، ثم زيت، ثم يترك في الماء" يبكبك " حتى يبرد عندها يتصلَّب ويُصبح منقاشًا كما في الصورة رقم (26) وهذه المرحلة تتطلَّب الانتباه والتركيز لأنَّه إنْ لم يتم سقي المنقاش جيدًا فسوف يتعرَّض للكسر (الشطار) فيفسد المنقاش.

صورة (16-17) عملية السحب والطرق.

صورة (18-19) قص قطعة الخردة إلى مناقير بالمنشار الكهربائي .

صورة (20) توضح ذوبان رأس المنقاش .

صورة (21-22-23) توضّح رأس المنقار، وهو جاهز للنقش عليه.

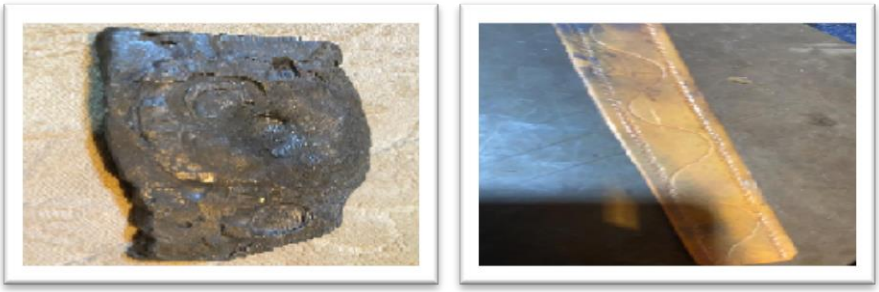

صورة (24- 25) توضّح طرف البيامبو وطرف النحاس.

صورة (26) المنقاش المنشطر .

أنواع المناقيش وأحجامها :

تعدَّدت أنواع المناقيش بتعدد استخداماتها وأحجامها، ويرجع ذلك لملكة الفن الفطرية ومخيلة الحرفي في فن النقش على النحاس، فأصبحت الأدوات قراءة لنضج الحرفي ومخزونه الثقافي المستمد ممَّن سبقوه، فالفنان الحرفي يستلهم مفردات زخارفه الهندسية والنباتية والحيوانية من محيطه البيئي فيصيغها بما لديه من قدرة إبداعية بمناقيشه؛ ليبلورها ويجسِّدها في صور تعبيرية بضربات اختلجت بين حنايا قلبه مجسِّدةً صورًا ونقوشًا تحاكي الماضي بكل تفاصيله، فتعدَّدت المناقيش كمنقاش(الظفر– الجنزير– جنزير البكلاوة– عين الحوتة – وعين العصفور أو الطير– الغبارة) كما في الصورة رقم (27) وغيرها من المناقيش الأساسية التي استخدمها كل حرفيي النقش على الفضة والذهب والنحاس على حدٍ سواء، وكان أوجه الاختلاف في الحجم فقط، فالمصوِّغات الفضية والذهب تتطلَّب مناقيش صغيرة أمَّا النقش على النحاس فيتطلَّب من الحجم العادي فما فوق، وبذلك طوَّر(العرفي يوسف) مناقيشه الأساسية ابتداءً من العام (1997) دون أنْ يشاطره أحد في تصميمها (كما في الصورة رقم 28) فصمَّم منقاش الظفر بعدَّة أحجام حتى أنَّ أكبرهم أسماه " الأسد " (كما في الصورة رقم 29)، ومنقاش الوردة بأنواعها الجوري، والزنبق، والقرنفل، كما في الصورة رقم (30) وغيرها من المناقيش التي لا يمكن حصر أسمائها لتنوُّع استخداماتها، ومن أسرار وطرائف هذه الحرفة يقول العرفي يوسف لابد من وجود منقاش خاص يكن له الحرفي كل الحب، ويكون أكثر المناقيش محبة لقلبه، فتجده دائمًا في جيبه حتى في سفره، وهذه الحالة تلازم أغلب الحرفيين، ولم يسلم هو الآخر من هذه الحالة، فكان له منقاش أسماه (حبيب القلب) وهذا المنقاش يسمى (المنقاش) عند باقي الحرفيين إذ ليس به أي زخارف كما في الصورة رقم (31) قائلًا: "استطيع تحدي أي صنايعي في فن النقش على النحاس بهذا المنقاش، وأنقش به أي عمل دون استخدام منقاش آخر" ، وهذا كما يعلم المتخصِّصون في فن النقش من المستحيلات في هذه الحرفة، ومن كثر تعُلُقه به عندما أخرج لي علبة مناقيشه لآح لي منقاش يلمع دون البقية، وذلك من كثر استخدامه فلم يصدأ أو تغطِّيه الغبار كبقية المناقيش خاتم اً قوله "هذا المنقاش لم يخذلني يومًا".

صورة رقم (27) عينة من أنواع المناقيش للعرفي (يوسف شويشين).

صورة رقم (28)عينة من مناقيش العرفي يوسف شويشين.

صورة (29) منقاش الظفر بأحجامها المختلفة وأكبرهم منقاش (ظفر الأسد).

صورة رقم (30) عينة من مناقيش الورد .

صورة (31) منقاش القلم ويسميه العرفي يوسف (حبيب القلب) .

المشاكل والصعوبات التي تواجه الحرفيين في فن النقش وصناعة المناقيش.

تبرز أهمية الصناعات الحرفية كإحدى الوسائل غير التقليدية لتوفير فرص العمل باعتبارها تعتمد على تكتيف عناصر العمل مقابل رأس المال، ويعد قطاع الصناعات الحرفية أهم قطاعات الإنتاج، إلا أنَّها تواجه تحديات كبيرة في ظل التغيرات الاقتصادية والتكنولوجية تتضمَّن هذه التحديات المنافسة الشديدة من الصناعات الحديثة المقلِّدة التي لبَّت طلب المستهلك كمنتج بديل وبأسعار مناسبة عن المنتج المحلي المحتضَّر في ظل تواصل التهميش الحالي للحرفي، ونقص التمويل والدعم المالي، وتراجع المهارات والتحديات التنظيمية والقانونية، ما نجم عنه عزوف الحرفيين وإقفال محالهم التجارية، هذه المحال التي اختفى معظمها ليس مجرَّد محال تجارية، بل هي شريان التواصل بين الأجيال مثقلةً برموز ثرية لتاريخ ليبيا العريق، فقد أسهم فشل الحكومات المتعاقبة على السلطة في إبراز خصوصية الحرف اليدوية منذ ظهور النفط، وحتى يومنا هذا، فلم

تجد هذه الحرف حاضنة لها تضمن امتدادها وترعى مصالحها، وتسن القوانين لحفظها من التهجين والاستلاب، فيكمن سر بقائها في وفاء صانع ورث مهنته أبًا عن جد، أو لآخر عشقها منذ الصغر، كما جاء على لسان الحاج يوسف الدغيس، وهو حوكي في سوق الفرامل (عشقت هذه الحرفة من الصغر أعطيتها وأعطتني)، كما جاء على لسان الحاج (جمال الداقيز) حوكي حرير (الحرفة عِشق)، هذا ويعاني الحرفيون من غياب التشريعات التي تحمي حقوقهم الفكرية فتصاميمهم وإبداعاتهم أصبحت عُرضةً للسرقة من تجار الأزمات، وهذا ما زاد من تقاعس الحرفيين عن إكمال مسيرتهم المهنية.

النتائج:

توصَّلت الباحثة من خلال تتبُّع خطوات البحث بالوصف والتحليل، وما توفر لديها من أدوات الدراسة المتمثِّل في(المقابلة الشخصية يجانبها التوثيق بالصورة) مع الحرفي المختص في فن النقش على النحاس العرفي (يوسف شويشين) إلى النتائج التالية:

1- غياب الرقابة والمتابعة من قبل الجهات المسئولة عن متابعة سير الحرف اليدوية في مدينة طرابلس، وما تعانيه من مشاكل متعدِّدة حالت بينها وبين صعوبة النهوض بها، والتي باتت تهدِّد بزوال هذه الحرف والمتمثلة في:

- عدم وجود الدعم على المواد الخام زاد من ثقل كاهل الحرفي وتقاعسه عن الإنتاج، وذلك لمعرفته بأنَّ المنتج لن يصل بالسعر المطلوب للمواطن ممَّا أدَّى إلى تكدُّس المنتج المحلي، والبحث عن البديل من قبل الزبائن.
- تغوُّل المنتج الأجنبي بزخارف وأنماط هجينة في الأسواق الشعبية للصناعات التقليدية، وبخس ثمنه أدَّى إلى عزوف الزبائن عن شراء المنتج المحلي رغم درايتهم بجودته وجمال زخارفه.
- غلاء إيجار المحلات التجارية داخل سوق القزدارة، أثقل كاهل الحرفيين.

2- عدم وجود حاضنة تسُن القوانين، وتُلزم الحرفيين والتجار بالحفاظ على الطرز والأنماط الفنية و الزخرفية للموروث الليبي الأصيل، وذلك للحد من الحرب الممنهجة لطمس هويتنا الليبية.

3- تأصل العُرف بجانب القدرة والكفاءة العالية التي يتميَّز بها الحرفي الليبي وإيمانه بأهمية هذه الحرف اليدوية وضرورة توارثها عبر الأجيال كان وراء بقائها وديموميتها حتى يومنا هذا.

4- عدم احتكار وتوارث الحرفة من قبل الحرفيين لأبنائهم فقط، بل يسعى الحرفيون ويناشدون الجهات المسئولة إلى إقامة ورش تدريبية لتدريب أكبر عدد من أبناء الوطن القادرين على مواصلة المسير.

التوصيات:

كان الهدف من هذه الدراسة هو تسليط الضوء والتعرُّف عن قرب على احد الحرف اليدوية التي لم تحظى بالدراسة والاهتمام من قبل الباحثين وهي حرفة (نقش المناقيش) ، وذلك من خلال المقابلة الشخصية مع أحد الحرفيين المهرة في هذه الحرفة العرفي (يوسف شويشين) ليحدثنا عنها وعن أهميتها من خلال التعرف على الخامات والأدوات وكيفية صنع المناقيش وحصر المشاكل والصعوبات التي تواجهها هذه الحرفة، علنا نخرج من خلالها بتوصيات نصل بها إلى يد المسئول للتعريف بها وحمايتها من خطر الاندثار.

عليه ومن خلال ما توصَّلت إليه الباحثة من نتائج فأنَّها توصي بالآتي:

1- على الجهات المسئولة عن حفظ التراث الثقافي تشكيل لجان للمسح الشامل عن كل ما يخص الحرف اليدوية لتوثيقها وحصرها وأرشفتها للمحافظة عليها من التهجين والاستلاب.

2- دعم الحرف اليدوية بتوفير كل سبل الراحة والعمل على إقامة ورش عمل داخل وخارج المدينة لنشر ثقافة العمل الحرفي.

3- تشجيع الحرفيين على الإنتاج وذلك بإقامة معارض سنوية يتم فيها تكريم وتخصيص مبلغ مالي ومشاركات خارجية يُمثل فيها دولته كمعزز لحسن صنيعه.

4- توعية النشء وغرس حب العمل اليدوي بإعداد مناهج تربوية وزيارات عينية للحرفيين، ومشاركتهم العمل والتعهُّد لهم بتوفير سوق عمل.

5- توفير الخامات والمعدات المدعومة لرفع كاهل الغلاء على الحرفي، وتوفير محلات بإيجارات مناسبة لهم.

6- محاربة المنتج الأجنبي بفرض ضرائب ورسوم باهظة على استيراده.

7- على الجهات المسئولة منع بيع المنتج المستورد داخل السوق المحلي.

8- وأخيرًا جاءت هذه التوصية على لسان العرفي يوسف شويشين(على الدولة التصدي للحرب الممنهجة لطمس هويتنا الليبية، وذلك بدعم الحرفيين، وتوفير المادة الخام والبيئة المناسبة للعمل، ونشر ثقافة العمل الحرفي للجيل القادم بإعداد مناهج دراسية، وتسلُم هذه الأمانة من عاتقنا لضمان ديموميتها وتطويرها).

المراجع:

1- نبذة تاريخية عن مدينة طرابلس، جهاز إدارة المدن التاريخية طرابلس، الإنترنت.

2- علي قانة، حرفة وحرفي.... الحرفي والحرفة، مجلة مربعات، خريف 2005م.

3- معجم المعاني الجامع (الإنترنت، ويكيديا).

4- محمد الهادي المغيربي، الحرفيون وأصحاب الصناعات الشعبية، المركز الوطني للكتاب والدراسات التاريخية، ص248.

5- محمد الهادي المغيربي، الحرفيون وأصحاب الصناعات الشعبية، المركز الوطني للكتاب والدراسات التاريخية، ص248.

6- القران الكريم، سورة الكهف، الآية رقم(96).